36 - إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم .

- 37 - يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم .

يقول تعال آمرا عباده المؤمنين بتقواه وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الإنكفاف من المحارم وترك المنهيات وقد قال بعدها { وابتغوا إليه الوسيلة } قال ابن عباس : أي القربة وقال قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود والوسيلة أيضا علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول ا صلى ا عليه وسلّم وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش وقد ثبت في صحيح البخاري عن جابر ابن عبد ا قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة " .

(حديث آخر) : في صحيح مسلم قال صلى ا عليه وسلّم : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى ا عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد ا وارجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة " .

(حديث آخر) : عن أبي هريرة أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " إذا صليتم علي فسلوا لي الوسيلة " قيل : يا رسول ا وما الوسيلة ؟ قال : " أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلى رجل واحد وأرجوا أن أكون أنا هو " (رواه أحمد والترمذي) عن ابن عباس قال قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " سلوا ا لي الوسيلة فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة " .

وقوله تعالى : { وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون } لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم . والتاركين للدين القويم ورغبهم في ذلك بالذي أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تبيد ولا تحول ولا تزول في الغرف العالية الرفيعة الآمنة الحسنة مناظرها الطيبة مساكنها التي من سكنها ينعم لا ييأس ويحيى لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال : { إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه

ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم } أي لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبا وبمثله ليفتدي بذلك من عذاب ا الذي قد أحاط به وتيقن وصوله إليه ما تقبل ذلك منه بل لا مندوحة عنه ولا محيص ولا مناص ولهذا قال .

{ ولهم عذاب أليم } أي موجع { يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم } كما قال تعالى : كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها } الآية . فلا يزالون يريدوهن الخروج مما هم فيه من شدته وأليم مسه ولا سبيل لهم إلى ذلك كلما رفعهم اللهب فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانة بالمقامع الحديد فيردوهم إلى أسفلها { ولهم عذاب مقيم } أي دائم مستمر لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها وقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له يا ابن آدم كيف وجدت مضجعك ؟ فيقول شر مضجع فيقال له تفتدي بقراب الأرض ذهبا ؟ قال فيقول : نعم يا رب فيقول ا تعالى : كذبت قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل فيؤمر به إلى النار " (رواه مسلم والنسائي عن أنس بن مالك مرفوعا) وعن جابر ابن عبد ا أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة " قال : فقلت لجابر بن عبد ا يقول ا { يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها } قال : أتل أول الآية { إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به } الآية ألا إنهم الذين كفروا (رواه الحافظ ابن مردويه) وعن طلق بن حبيب قال : كنت من أشد الناس تكذيبا بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد ا فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر ا فيها خلود أهل النار فقال : يا طلق أتراك أقرأ لكتاب ا وأعلم بسنة رسول ا مني ؟ إن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبا فعذبوا ثم أخرجوا منها ثم أهوى بيديه إلى أذنيه فقال : صمتا إن لم أكن سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : " يخرجون من النار بعدما دخلوا " ونحن نقرأ كما قرأت . رواه ابن مردويه